لغة

تُعرِّف اللغة الإنسان من جهة ما هو إنسان، هذا "الحي الناطق" (zôon logon echon) عند الإغريق؛ وهذا الحيوان الرامز عند إرنست كاسيرر. ولا يوجد خارجَ التنوع المدهش للألسنة التاريخية التي استكشفها فلهلم فون هومبولدت في بداية القرن العشرين تنوعٌ لا يقبل علاجا آخرَ غيرَ الترجمة. ويستجيبُ تمييز اللسان باعتباره موضوع اللسانيات البيِّنَ عن ظاهرة الكلام الإجمالية التي هي استعمال اللسان بالفعل، على نحو ما فعله فردينان دي سوسير في بداية القرن العشرين، لضرورة ابستيمولوجية. ومع مراعاة الفلسفة لضرورة هذه القطيعة فإنه لا يسعها الاقتصار عليها. فأول مهمات الفلسفة فيما يتعلق باللغة هي إعادة فتح الطريق نحو الواقع الضائع في تجريدات علوم اللغة والعلامات، وإن كانت تجريدات لا بد منها.

في البدء كان "اللوغوس"

انطلاقا من موقع اللغة المركزي في الفلسفة المعاصرة يمكن التساؤل عن ماهية العلاقة باللغة في فلسفات الماضي. وعند الإغريق لا بد بادئ ذي بدء من مساءلة ما في تكثر معنى كلمة **لوغوس** من ثراء على نحو ما صنعه مارتن هيدغير الذي يرى أن دلالة اللفظ الأساسية هي "الضم" و"الجمع". وبضد ذلك يسعى شراح آخرون إلى إضفاء صبغة رياضية على هذا المفهوم ليجعلوا منه سلفا لـ"المنطق".

وإذا كانت تجربة اللغة التي تنقلها كلمة **لوغوس** تحتفظ بوقع كوسمولوجي عند هيرقليطس أو بوقع أنطولوجي صريح عند بارمينيدس فإن السفسطائيين يفضلون الدور الذي تؤديه في المحاورات بين الناس حيث تغلب الحاجة إلى الإقناع كثيرا على الرغبة في المعرفة. غير أن اللغة توشك على الانطواء في كون مغلق من العلامات عندما تنقطع صلتها بالموجود. ولم يفتأ أفلاطون وأرسطو، سيرا على رسم سقراط، يردان على طعن السفسطائيين في الفلسفة:

فقد سعى أفلاطون، من ناحية، إلى بلوغ حقيقة الموجود فيما يجاوز اللغة ويتعداها ـ إذ ليست الأسماء هي ما يوقفنا على حقيقة الأشياء؛ وسعى من ناحية أخرى، في اللغة، إلى تجاوز نظرية التسمية الساذجة التي سبر ما فيها من الحرج والمعاياة (**كراتيلوس** (390 - 385 ق.م.). ففي هذه المحاورة الممحَّضة لـ"صحة الأسماء" وسدادها وصوابها يتساءل كراتيلوس وهرموجينوس عن مناسبة الأسماء للأشياء أطبيعية هي أم وضعية؟ ويتبين أنه يتعذر القول بأي واحد من الرأيين: فليس الاسم هو الذي يُبلغنا الحقيقة وإنما الجملة، أي **اللوغوس** باعتباره تركيبا للاسم مع الفعل، هي التي توصلنا إلى الحقيقة دالة في الآن نفسه على الفجوة أي المَسافة بين الخطاب والواقع وإمكان تناوب الصدق والكذب.

أما أرسطو فيبين في كتاب العبارة أن اللغة لا تطابق الأشياء ولكنها تدل عليها بفضل الخطاب الذي من شأنه أن يثبت وينفي. وينبغى ألا تكون الدلالة اعتباطية ولا من قبيل ما كان محالا فاسد المعنى. وإن الخاصية الإحالية في اللغة هي الضامنة لرسوخها الأنطولوجي، وهذا بفضل الإقرار بتكثر معنى الموجود "الذي يقال على أنحاء شتى"[1]. وتُشعر هذه العبارة الشهيرة في حال واحدة بتعدد الكلام على الموجود وبأنه لا نهاية للخطاب الذي يقال فيه ذلك الموجود. وبتمييز **اللوغوس الأَبوفنتيكوس** أي الخطاب الذي يقبل التصديق والتكذيب من **اللوغوس السيمانتيكوس** وهو الخطاب المفيد لا غير ـ أي القول والدعاء والإغراء والشعر ـ يرسي أرسطو أسس المنطق والخطابة وفن الشعر.

ويتكلم هانس جورج غادامير منطلقا من **الكراتيلوس** عن "نسيان إغريقي للغة"، وهو رأي يتضمن جانبا من الحقيقة على ما فيه من مبالغة من قِبَل أن المقصودَ منه تصورٌ أداتي خالص للغة. زد على ذلك أن الفلسفة الإغريقية القديمة تنزِعُ إلى ازدراء ما هو جسماني قياسا إلى ما هو روحاني، وما هو فردي قياسا إلى ما هو كلي. ومفهوم تجسد الكلمة المسيحي ـ لا سيما عند أوغسطين ـ مثال جديد عن تصور الجسد أي الجسم الحي وما بين الفكر اللغة من صلة وثيقة.

[1] ـ "إن الموجود يقال على أنحاء..."، ابن رشد، **تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة**، ص 5.

النقاش المعاصر

يسلك التفكير الغربي في شأن مفهوم اللغة، حسب كارل أتو، أربعة طرق متميزة ابتداء من القرنين الثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ هي: صوفية الكلمة (من المعلم إيكهارت إلى الصيغ المُعلمَنة من **اللوغوس**)، ونقد المذهب الاسمي للغة (من ويليام الأوكامي إلى التجريبية الإنقليزية)، والتقليد الإنسانوي والتأويلي (من دانتي أليغيري إلى جيامباتيستا فيكو حتى الرومنطيقة الألمانية)، و**الماتيزيس يونيفارساليس** ومعناه العلم الكلي (من ريمون لول إلى غوتفريد فلهلم لايبنيتز). وتنصهر هذه التصورات الأربعة المتميزة للغة في القرن العشرين منشئة مثالين رئيسيين هما المقاربة المفارقة التأويلية والمقاربة التقنية العلمية اللتان تهيمنان، في جانب لا بأس به، على النقاشات المعاصرة في شأن اللغة حيث لا تنفك المواجهة بين الاسمية و**الماتيزيس يونيفارساليس** وبين التأويلية وصوفية **اللوغوس**.

ولا شك في أن تصور اللغة باعتبارها جملة من العلامات القابلة للتصرف فيها والتي هي أساس التركيب والدلالة المنطقية يمثل موقفا مقابلا للإنصات للغة باعتبارها كشفا للموجود عند هيدغر. غير أن لودفيغ فيتغنشتاين يُورِد تناقضا في المثال التقني العلمي نفسه بالمرور من تصور اللسان الكامل باعتباره مرآة العالم في **رسالة منطقية فلسفية** (1921) إلى تحليل الألعاب اللغوية باعتبارها أشكال حياة في **تحقيقات فلسفية** (1953). وعلى هذا النهج تسير أيضا مقاربات تحليل اللغة العادية التي جاءت بعد فيتغنشتاين، ولا سيما نظرية الأعمال اللغوية المنسوبة إلى جون لنغشاو أوستن وجون روجرز سيرل، وكذلك التداولية التي يتصورها شارل ويليام موريس باعتبارها القسم الثالث من السيميائية بعد التركيب والدلالة. وعن هذه الصور من الانفتاح، الموجودة بالقوة في الأقل، يجيب غادامار بمفهوم الحوار عنده باعتباره عملية طلب وإجابة، ويجيب آبال، وقد تبعه في ذلك يورغن هابرماس، بإعادة صياغة سيميائية بيرسية للمفارق الكانطي في أخلاقيات التواصل.

وفي التيار الظاهراتي يقدم إدموند هوسرل وموريس مرلوبونتي، مع ظاهراتية الجسد الذاتي، سياقا لتصور اللغة باعتبارها جسدا كلاميا

للفكر. وإن الذي انخرط في إعادة تأويل المنهج الظاهراتي إلى "ظاهراتية تأويلية" إنما هو بول ريكور على وجه الخصوص، وهو ما كان هايدغير الشاب أيضا يَشِيمُه ويتصوره ويرمي إليه. ذلك أن فكرَه ثمرةُ رحلة طويلة في كون العلامات والرموز والنصوص لا تهمل البتة انفتاح اللغة على الواقع وعلى البحث عن هُوية "الإنسان القادر"، القادر على الكلام والفعل، وعلى تحمل مسؤولية كلامه وأفعال، وهي هوية محل طلب دائم.

دومينيكو جرفوليني

النص الفرنسي:

- على شبكة الأنترنات باستعمال كلمات البحث التالية:

Dictionnaire des Notions: Les Dictionnaires + domenico jervolino +d'Universalis langage

---

أو بنسخ العنوان التالي وإلصاقة:

https://books.google.tn/books?id=W9-KBAAAQBAJ&pg=PT1921&lpg=PT1921&dq=Dictionnaire+des+Notions:+Les+Dictionnaires+d%27Universalis+langage+domenico+jervolino&source=bl&ots=81xgaZ_rJZ&sig=ACfU3U0JVrs5X8TM6OkpZJ647F0oKisTLA&hl=fr&sa=X&ved=2ahUKEwjEkMqry5XzAhWJFxQKHbkmB5IQ6AF6BAgCEAM#v=onepage&q=Dictionnaire%20des%20Notions%3A%20Les%20Dictionnaires%20d'Universalis%20langage%20domenico%20jervolino&f=false